

الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل

[320] الكلام مطلقاً، ولو كانت هذه الآيات من عندي لتحدثت بها لكم خلال هذه الأربعين سنة، فهل لا تدركون أمراً بهذه الدرجة من الوضوح: (أفلا تعقلون). وكذلك، ومن أجل التأكيد يضيف: بأنّي أعلم أنّ أقبح أنواع الظلم هو أن يفترى الإنسان على الله الكذب: (فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً) وعلى هذا فكيف يمكن أن ارتكب مثل هذا الذنب الكبير؟ ! . وكذلك فإنّ التكذيب بآيات الله سبحانه من أشدّ الكبائر وأعظمها: (أو كذب بآياته) فإنّ إذا كنتم جاهلين بعظمته ما ترتكبونه من الإثم في تكذيب وإنكار آيات الحق، فإنّني لست بجاهل بها، وعلى كل حال فإنّ عملكم هذا جرم كبير، و (إنّ الله لا يفلح الظالمون). * * * ملاحظات 1 - إنّ المشركين كانوا يطلبون من النّبى(صلى الله عليه وآله وسلم) إمّا أن يستبدل القرآن بكتاب آخر، أو يبدله، والفرق واضح بين الاثنين، ففي الطلب الأوّل كان هدفهم هو اقتلاع وجود هذا الكتاب تماماً ليحل محله كتاب آخر من طرف النّبى(صلى الله عليه وآله وسلم)، أمّا في الطلب الثّاني فكانوا يريدون على الأقل أن تبدل الآيات التي تخالف أصنامهم حتى لا يشعروا بأي ضيق وانزعاج من هذه الناحية. ونحن نرى كيف أنّ القرآن الكريم أجابهم بلهجة قاطعة بأنّ النّبى(صلى الله عليه وآله وسلم) ليس له أي اختيار وتصرف في التبديل، ولا التغيير، ولا تسريع نزول الوحي أو تأخره. ونذكر من ذلك حماقة وغباء هؤلاء فهم يقبلون بالنّبى الذي يتبع خرافاتهم وأهواءهم، لا القدوة والمربي والقائد والدليل! . 2 - ممّا يستحق الإنباه، أنّ النّبى(صلى الله عليه وآله وسلم) في الإجابة عن الطلبين اكتفى بذكر عدم القدرة بتنفيذ الطلب الثّاني وقال: إنّني لا أستطيع أن أغيره من تلقاء نفسي، وبهذا